

تفاعلية لغة الفيس بوك المكتوبة و أثرها في رسم التعدد اللغوي وتعزيز المثاقفة

Facebook's interactive written language and its impact on multilingualism mapping and cultural promotion

ط. د. خضير محمد العربي^{1*}

جامعة باتنة 01، (الجزائر)، khedir.m.larbi@gmail.com

مخبر البحث في التراث الفكري والأدبي في الجزائر

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ المراجعة: 2021/09/19

تاريخ الإيداع: 2021/08/13

ملخص:

تتضمن هذه الورقة البحثية وصفا للميزات التفاعلية في اللغة المكتوبة عبر المشهد التواصلي الإلكتروني للشبكات الاجتماعية؛ إذ تتضح فيها معالم التحول في المنظومة التواصلية من غلبة المشافهة الفورية، إلى اللغة المكتوبة ذات السياقات المتحوّلة، وذات الطابع التفاعلي والاجتماعي والتداولي، وقد استند الباحث إلى ملاحظة ووصف عربية الفيس بوك ضمن إشكالية تتركز في ماهية الخصائص والأوصاف التي جعلت منها ذات إسهام في رسم التعدد اللغوي والمثاقفة الاجتماعية، منطلقا من فرضية أنّ اللغة التواصلية المعاصرة ذات الطابع الخطّي، يمكن أن تتجاوز الوظيفة العلمية والرسمية والحضارية للخطّ، إلى الجانب الاجتماعي التبليغي الفصيح والعامي منه، وبانتهاج الملاحظة، الوصف والتحليل، خلصت الدراسة استنتاج جملة من خصائص لغة الفيس بوك أهمّها، تمازج الكتابية والشفاهية، الحوارية وانفتاح الحوار، تعدد النمط اللغوي (التعدد اللغوي)، وغيرها من الميزات الثانوية التي تعكس مدى اجتماعية هذا النمط التواصلي.

الكلمات المفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، الفيس بوك، الكتابية والشفاهية، الحوارية، التعدد اللغوي.

Abstract:

This research paper describes the interactive features of the written language across the electronic communicative scene of social networks. The features of the transition in the communication system are evident in the dominance of the direct verbal act to the written language with shifting contexts and of interactive, social, and pragmatic nature. The researcher drew on the observation and description of Facebook Arabic within a problem that focuses on what are the characteristics and descriptions contributing to the mapping of multilingualism and social culture. The researcher started from a hypothesis stating that contemporary communicative

* المؤلف المراسل

language of a written nature can transcend the scientific, formal and civilizational function of the font to the social, eloquent, and colloquial aspects of it. Based on observation, description and analysis, the study concluded a number of characteristics concerning Facebook language, the most important of which are written and verbal mixing, conversation and openness of dialogue, multiple linguistic patterns (multilingualism), and other secondary features that reflect the socialization of this communicative pattern.

Key words: social media, Facebook, written and verbal, conversation, multilingualism.

مقدمة:

لما كان التّواصل هو الوسيلة المثلى التي تضمن للإنسان اجتماعيته وانتماءه داخل المكوّن الكلي المتمثّل في المجتمع، كان الاهتمام به والبحث في قضاياها وفنونه وخصائصه، أمراً ذا بال وقيمة، وحاجة تكتسي أهميتها من أهميته، وقد يسّر الله سبلاً وملكات تتيحه وتمكّنه، عُرفت بالبيان نسبة إلى وظيفة الإيفهام وأداء المعنى التّواصلي، وهي تتلخص في اللفظ والخطّ والإشارة والنّصبة والحساب كما أشار لهذا الجاحظ في مصنفه البيان والتّبيين¹.

ومعلوم أنّ منظومة التّواصل البشري، تتركز أكثر على المشافهة والكتابة؛ فهي تعتمد على أصوات وكلمات وتراكيب، يرافقها الخطّ والتّرميز. ونحن هنا في هذه الورقة البحثية لا لنعطي الفوارق بين اللّغة الشّفوية والمكتوبة؛ وإنّما نسعى إلى وصف اللّغة التّواصلية عبر الشّبكات من خلال نموذج الفيس بوك، ومرد ذلك أنّ المشهد التّواصلي، انتقل وتحوّل جذرياً فيها من المشافهة اليومية في السّياقات التّواصلية العامّة: المنزل، الشّارع، السّوق، المرافق؛ الإدارات، إلى مشهد مكتوب يديره الرّمز والخطّ بنسبة أكبر عبر وسائط التّواصل والهاتف، بخاصّة؛ حيث يظلّ المتواصل ملازماً له ومتواصلاً به، وينسج خطّي يختلف في نمطية حواريته وانفتاحية سياقه، ويتمثال في تحقيق الأغراض العامّة للتّواصل، وفي مشابهة التعدد اللّغوي والتّدخل.

والكتابة في مجملها هي « نظام شفري من العلامات البصرية التي يولدها القارئ من النّص »²، ولعلّ جدلية اللّسانيات في وصف اللّغة الشّفوية حين أولتها الأحقيّة، تنبع من كون المشافهة هي المسئولة الوحيدة عن فعل التّواصل العامّي العفوي واللّهجي؛ لأنّ الكتابة كانت أكثر ترتبط بالسّياقات العلمية الحضارية والتّاريخية كما يرى ابن خلدون أنّ الكتابة تتبع الحضارة³، غير أنّ هذا التّحول في دينامية التّواصل، يفرض علينا أن لا نعفي الكتابة من قدرتها على تسيير التّواصل وتيسيره كما هو حاصل مع رقمنة العالم، إضافة إلى وثوقية الكتابة كشهادة لا يستغنى الإنسان عنها.

إنّ هذا التّحول في النّمط التّواصلي، لهو داع أن لا تقتصر اللّسانيات البنيوية الدّاخلية عن وصف المدونة الكلاسيكية وفق شروطها المحدّدة في الإرهاصات الأولى لها حين كانت الكتابة رمزا تاريخيا على الآثار والمعالم، وكانت حبيسة مؤسّسات التّعليم والدين، بل من المنطقي والمعقول أن تكون اللّغة المكتوبة في

السّياقات التّواصلية، أهلة للوصف اللّساني؛ باعتباره الإجراء المنهجي الذي اعتمدته اللّسانيات في فهم الظواهر اللّغوية، وفهم علاقتها بالإنسان في إطارها التّواصلية واكتسابها وتعليمها.

ولم تكن هذه الدّعوة إلى إمكانية تجاوز المدوّنة اللّسانية والوصف المجرد البنيوي الدّاخلي للغة تبعا للفارق بين الكتابة والمشافهة، إنّما هو موازاة لما جاءت به اللّسانيات الاجتماعيّة من نهضة منهجية؛ حيث أقرّت بأنّ اللّسانيات البنيوية ظلّت قاصرة على تفسير كثير من الظواهر اللّسانية ذات الصّلة بالمجتمع؛ كاللّغويّ، التّداخل، المعجم اللّغوي الاجتماعي، اللّغة والسّياسة، اللّغة والاقتصاد، وغير ذلك؛ ومرد هذا أنّ « اللّسان ظاهرة اجتماعية بامتياز»⁴، وأيّ وصف له لا يتأسس من صفته الاجتماعية، لا يمكن أن يحقّق المبتغى من فهم اللّغة وتفسير علاقتها بمتكلميها، والوقوف على مدى نفعيتها وسلطتها.

وفق هذه الأسس التّنظيرية، يعمد الباحث إلى إعطاء لمحة وصفية للغة المكتوبة عبر شبكة الفيس بوك من خلال مبدأ الشّفاهية والكتابتية، الحوارية، التّعدّد اللّغوي؛ إذ هي ظواهر لغوية بارزة في حصول الفرق بين التّمط المكتوب والمشافه من اللّغة، وإظهار الملامح الاجتماعيّة لها بحكم أنّها نتاج المجتمع، وبحكم أنّ « الملاحظة المباشرة المدقّقة لطريقة استعمال النّاس للغة في سياقها الاجتماعي، خليقة بأن تؤدي إلى كثير من النتائج المفيدة»⁵، ولأنّ الفيس بوك، لا يقتصر على أصحاب الكفاءة التّعليمية والثّقافية العالية، بل هو في تناول العامّة كما هو ملاحظ ومعاش وفق ما اخترع لأجله، وما تمّ به تسخيره للجميع.

أولا: نظرة عامة في مفهوم التّواصل وشبكة الفيس بوك:

سعى الإنسان منذ سالف العصور في تطوير سبل تواصله وحواره، حتى بلغ به إلى تحوّل علمي مذهل، أضفى على تواصله سبلا جديدة يسرته، واخترقت حدوده الزّمكانية، وجعلته يتأرجح بين الواقع والافتراض من خلال شبكات التّواصل الاجتماعي عبر الشبكة العنكبوتية؛ بل جعلته أيسر وأوضح في أنماطه الحوارية والنّفعية.

والتّواصل (Communication) في مفهومه وجوهره، يُرادف لفظ التّبليغ، وأصله في اللّغة من مادة وَصَلَ، حيث ورد في لسان العرب لابن منظور: وَصَلَ السّيء وَصْلا وَصَلَهُ، ومنها وَصَلَهُ إِلَيْهِ وَأَوْصَلَهُ؛ أي أَبْلَغَهُ. والوصل ضدّ الهجران، والتّواصل ضدّ التّصارم⁶، أما اصطلاحا، فهو « كلام شفوي أو مكتوب يرسله إنسان لآخر أو آخرين، يتضمّن معارف اكتسبها شخصيا. وهو أيضا تبادل المعلومات التي تعطي أهمّ الأشكال التي يتمّ تبادلها والتكلّم بها بناء على الإسناد والوضع اللّغوي المحدّد»⁷؛ لذا يتبيّن من التعريف، أنّ التّواصل يكون مكتوبا أو منطوقا، ويشترك فيه طرفان أو أكثر، داخل سياق محدّد ومعين، تكشفه الوضعية التّواصلية ومجرياتها وحيثياتها.

والتّواصل في إجراءه وممارسته، « يقوم بصفة عامّة على الأفعال الإنسانيّة بجميع أصنافها، من إنجازات محسوسة، وأشياء تقنية، وأقوال مكتوبة أو شفويّة، ومواقف مختلفة، هي عناصر تكوّن كلّها مواضع اتصال»⁸؛ ومنه كانت أهمّيته كبيرة في حياتنا، كيف لا وهو « التّعبير عن الحياة»⁹. وتتعدّد أوصاف وأصناف التّواصل تبعا لحاجات الإنسان وأغراضه وأهدافه، لكنّها تتفاوت وتتحد في الاستخدام، ومنها « الاتصال الإلكتروني، والذي يمثّل منظومة جديدة تختلف عن المنظومة المشهّدية، وتحقّق مجالا شبكيا يتحوّل فيه الفرد باستمرار بين موقعي الإرسال والتّلقّي، وتنصهر في داخله العوالم الفرديّة. كما تمثّل فيه شبكة الويب فضاء جماعيا يشترك المستخدمون في إنتاجه، فهو بهذا المعنى، يمكن النّظر إليه على أنّه نموذج تواصل جديد»¹⁰.

ويقصد بالاتصال الإلكتروني، جميع شبكات التّواصل الاجتماعي (Réseaux Social)، والتي ابتكرت خدمةً للتّواصل، لذلك سمّيت به؛ إذ يعرفها محمد عواد بأنّها: « تركيبة اجتماعية إلكترونية تمّ صناعتها من أفراد وجماعات ومؤسسات، تتمّ تسمية الجزء التكويني الأساسي منها (الفرد الواحد) باسم العقدة؛ حيث يتمّ اتصال هذه العقدة بأنواع مختلفة من العلاقات؛ كتشجيع فريق مثلا، أو الانتماء لشركة ما، وقد تصل هذه العلاقات لدرجة أكثر عمقا؛ كطبيعة الوضع الاجتماعي والمعتقدات، أو الطبقة التي ينتمي إليها الشّخص»¹¹.

وبالنسبة للإيجابيات والسّلبيات لهذه الشّبكات، فبالموازنة مع سلبياتها وأخطارها الدّينيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة، فإنّ لها جوانب إيجابية لا يمكن إغفالها؛ « فلولا وسائط الاتصال الإلكترونيّة وخاصّة الشّابكة أو الإنترنت ومعارض موسميّة، لما تعرّف شباب البلدان العربيّة على ما يصدر من آثار علمية وإبداعية، إلا بالتّنقل إلى عين المكان»¹².

ولعلّ من أشهر مواقع التّواصل الإلكترونيّ الرّاهنة، شبكة الفيس بوك؛ إذ « يعتبر الفيس بوك (Facebook) من أكبر وأشهر المواقع العالميّة المتخصّصة في العلاقات الاجتماعيّة والتّعارف وبناء الصّدقات على الإطلاق»¹³، وهو « موقع اجتماعي أطلق في الرّابع من فبراير 2004، يسمح هذا الموقع للمستخدمين بالانضمام لعدّة شبكات فرعية من نفس الموقع تصبّ في فئة معيّنة مثل منطقة جغرافية، مدرسة معيّنة، وغيرها من الأماكن التي تساعد على اكتشاف المزيد من الأشخاص الذين يتواجدون في نفس فئة الشّبكة. كما يعمل الموقع على تكوين الأصدقاء ويحدّدهم ويساعدهم على تبادل المعلومات والصور الشّخصية ومقاطع الفيديو والتّعليق عليها»¹⁴.

ثانيا: ملامح التّفاعليّة والاجتماعيّة في لغة التّواصل الفيسبوكية:

تتأسّس مركزيّة اللّغة داخل شبكة الفيس بوك لما تتوقّر عليه من فضاءات تفاعليّة، فلا يكاد الوضع يختلف فيها عن الوضع الخارجي ومنظومة التّعبير العام. وتتحكّم في كثافة هذه المركزيّة، المواقف السّياقية للفعل التّواصلية، وطبيعة القناة الواصلة بين أطرافه، من مشافهة وكتابة، ولهجات إقليمية، وأنماط مهنيّة وتعبيرات إبداعية، وغير ما ذكر من أساليب¹⁵.

وتستمد اللّغة هذه المركزية داخل الشّبكة من وظيفتها التّواصلية والعلميّة والتّثقيفيّة وحتى التّرفهية، وإذا كانت اللّغة رمز الهويّة والانتماء، فإنّ الشّبكة بدورها تُسهم - ولو نسبيا - في إبراز الهويّة على مستوى الفرد والجماعة، كما تتمازج الاستخدامات اللّغوية داخلها، فتظهر معها ملامح وخصائص اجتماعية كثيرة؛ تأسس من نظرة عامّة مفادها: « إذا كانت الانترنت تمثّل ثورة، فإنّها من المحتّم أن تكون ثورة لغوية»¹⁶.

1- تمازج الشّفاهيّة والكتّابية في لغة الفيس بوك:

يبدو أنّ جميع أنماط التّواصل والتّفاعل داخل شبكة الفيس بوك، تتأسس على الممارسة اللّغوية، من شفاهية الفيديو والمكالمات الصّوتية عبر فضاء المسنجر، إلى كتابية المراسلات والتعليقات والمنشورات، وكذا الرّموز الخطيّة المتجسّدة في الإشارات والصور، ومردّد ذلك كلّ، أنّ « التّطور التكنولوجي، أدمج كلّ الوسائل الإعلامية في وسيلة واحدة، تجمع بين النّص المكتوب والصوت المسموع والصورة. ولعلّ الانترنت هي أهمّ منجز تكنولوجي للمتمديا، وأهمّ وسيلة إعلام واتصال في الوقت الرّاهن»¹⁷.

يتضح أنّ دور الكتابة أساسي في جميع برامج وتطبيقات الفيس بوك؛ نشرا ومراسلة وتعليقا، ويتّضح كذلك، ميل المتواصلين للكتابة وتفضيلهم إيّاها عن المشافهة الصوتية في كثير من الأحيان؛ ففي هذا تشكّل حيّزا معتبرا، رغم توقّر الفيس على تقنيات التّواصل المنطوق. وهذا ما يجعل « كلام الشّبكة مشوّقا، بوصفه شكلا من أشكال التّواصل، باعتماده على الخصائص التي تنتهي إلى كلا الجانبين من الحدّ الفاصل بين الكلام والكتابة»¹⁸.

والناظر في خصائص التّواصل المكتوب في الفيس بوك، يجد أنّ من يتواصل كتابيا، إنّما يحاول أن يحاكي الجانب اللّغوي المنطوق؛ فتراه يحاول تجسّد كل ما يفكر به من قوالب وأصوات لغوية في أداءه الشّفوي خارج الشّبكة كتابة ضمن تطبيقاتها؛ فشبكة الفيس بوك، مثال عن الشّبكات التّواصلية التي أدّت بانتقال التّواصل من الشّفاهية إلى الكتّابية، ولعلّ ذلك للمميزات الآتية:

- ✓ الفيديو والتّواصل الصوتي غير متاح مع الجميع.
- ✓ الكتابة أستر، ويكون معها إخفاء الهويّة في التعليقات مثلا.
- ✓ الكتابة تجمع أكثر من مراسلة واحدة في الحين نفسه.

وهذه الملاحظات مشاهدة وواقعة في شبكة الفيس بوك تشترك فيها عوامل كثيرة، وتصنعها ملامح وميزات الكتّابية على الشّبكة، فالتعليق على المنشورات حصرا وغالبا ما يكتسي الطابع المكتوب؛ وهو واسع الأفق كثيرة التداول في تواصل الفيس بوك لما فيه من إبداء الرّأي، كما أنّ كثير من المنشورات لا تكون إلا كتابة لما تحمله الكتابة من مسؤولية التوثيق ومن إمكانية التصريح عن المكبوت أحيانا، إضافة لأنها أقل تكلفة من حيث

تصنع البلاغة وبلوغ درجة مقبولة من التبليغ التأثير والإقناع، دون أن ننسى جانب المراسلة والحوارات المكتوبة داخل غرف الدردشة.

كلّ هذه الوقائع، تدلّنا أنّ الفيس بوك صورة تكاد تماثل الواقع. وتدلّنا أنّ مهمة الكتابة لا تقتصر على حفظ المنطوق في خزائن التّراث، فهي تؤدي التّواصل اليومي؛ ف«المكتوب غالبا ما يتعايش مع الشّفوي، ويسهم في رسم أشكال التّعدّد»¹⁹ من جهة، والكتابة خاضعة للتأثيرات الاجتماعية من ناحية التّنوع من جهة أخرى. ومنه فالتمائل حاصل بين المشافهة اليومية والوقائع المرسومة على الشّبكة؛ بل يمكن أن نذهب بعيدا بالقول وفق ما يرى بيار أشار: «إنّ قطاعا من النشاط اللّغوي كالكتابة، قادر أن يتموضع في لغة خاصة»²⁰.

2- الحوارية و انفتاح الحوار في لغة الفيس بوك المكتوبة:

تحدّد معالم الحوارية في التّواصل من خلال تفاعل عناصره المعروفة؛ المرسل المرسل إليه الرّسالة القناة والسّياق، كما ينسج التّواصل الحوارية من خلال طبيعة وعدد الأفراد المساهمين والمشاركين فيه؛ كلّ له دوره ومركزه في حركية تلكم العناصر، وربطها بغايات وأهداف التّواصل العامّة.

والحوار هو غاية التّواصل ووسيلته، وبه يكون التّواصل ناجحا ومثمرا، إذ يبني وفق أسس اجتماعية وأخلاقية ونفسية؛ فغياب الأسس والضوابط، هو غياب الانسجام والتّفاهم الاجتماعي، ولما كان للتّواصل صلة كبيرة بالحوار كما تمت الإشارة له، كان التّطور الحاصل في سبل التّواصل ووسائله الرّاهنة المعاصرة، تعزّيزا لأشكال الحوار ومناهجه، ومن ثمّ كان الانفتاح التكنولوجي عبر الشّبكات، هو صور جديدة تيسّر وتقرب، وتغاير الأنماط الحوارية، ومنها الفيس بوك الذي بات مهمّا في إثراء الحوار، وتقارب الثقافات والمفاهيم، وتحقيق أهداف تواصلية راقية ومنشودة.

والحوار في اللّغة من حاور يحاور محاوره، وهو الرّجوع والإرجاع²¹، ومنه اقترن الحوار بالتّواصل، تبعا لمدى التّفاعل والتّخاطب بين أطرافه؛ إذ يُرجع بعضهم إلى بعضهم التّراسل والكلام حتى ينشأ في حوارهم مبدأ الأخذ والعطاء بين مُلقّ ومتلقّ، بين مرسل ومستقبل، بين متكلم وسماع، بين كاتب وقارئ؛ لهذا كان الحوار تفاعلا وانصهارا؛ أيّ حاور على وزن فاعل، وتجاوز على وزن تفاعل، ومعلوم أن من شأن التّفاعل كما هو معروف المشاركة والتأثير. وهذا ما.

ولتحقيق الحوار غايته وأهدافه المرجوة، وجب على أطرافه التّحلي بالقيم والخلق المصاحب للحوار النّاجح، والتّقيّد بالضوابط والآداب المنظّمة له؛ ومنها احترام رأي الآخر، وعدم مقاطعته وعدم الطعن في شخصه أو التّطاول على نسبه وأصله؛ فنقاش الأفكار يجب أن لا يتعدّى إلى غيرها من أساليب جارحة أو تهكّم أو تعدّد، بالإضافة لهذا كلّ، ثمة قيمة جوهرية أساسية تتمثّل في الإيمان والوثوق في رجاء نفعية الحوار، وتقريب

الأفكار بدل كسر المبادئ، وينبغي أن لا يكون الحوار لأجل الحوار فحسب، حتى لا ينقلب إلى جدال عقيم ومراء لا ثمار فيه، ولا فائدة ترجى منه، وهذا ما يبدو غالبا على حوار العصر وللأسف²².

تتيح شبكة الفيس بوك مجالات حوارية تشتمل الرسائل والتعليقات والمنشورات؛ فالمنشورات فسحة لتبني الأفكار، والدعوة لها، والدفاع عنها، وتعقبها التعليقات المترامية الأفكار والتوجهات، حتى تتشكل فئات حوارية يدلي كلّ فيها بدلوه، خاصة في خضم صراع عالمي وقومي ومحلي في المذاهب والتكتلات سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا، وهذه ثلاث محاور تشكّل صراعا دائما وملحوظا، تمثله اللغة الفيسبوكية من مشاركة المتواصلين، نشرًا وتعليقا ومراسلة سعيا نحو حصول القبول والإقناع.

ومن خلال الإطلاع الميداني والملاحظات التي نظرنا بها واقع الحوار في شبكة الفيس بوك، لمحنا شغف الكثير من المتواصلين المرتادين له نحو المساهمة والمشاركة، وإدلاء الرأي، خاصة في المجموعات، وهي من أقوى أسباب ملازمة الشبكة لحياة الناس، وإدماهم عليها؛ حيث تتلخّص في التّواصل وإنشاء التّعارف، والتّرفيه عن النفس، والتّسلية، والاستفادة العلميّة، ومتابعة جديد الأخبار الوطنية والمحلية.

ومهما كانت أسباب ارتياد الشبكة، فإنّ ذلك حتما هو نمط من أنماط الحوار بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فإنشاء المعارف والتّعرف على الآخرين، هو حوار شامل لكلّ المفارقات الشّخصية، واختلاف الأصول والثّقافات، والأفكار السّياسية والدينية وغيرها، وكذا التّرفيه والتّسلية؛ كونها حوارات ذات طابع ساخر وتهكمي، بالإضافة إلى لقاء وحوار الأصدقاء وفق إمكانية كسر الحدود الزّمنيّة والمكانيّة.

أمّا الحوارات والمناقشات العلميّة، فهي غاية نبيلة، وهدف منشود محمود، وفضل الشّبكة ولغتها في هذا كبير؛ حيث أتاحت تقارب الأساتذة والباحثين، ويسّرت المعلومة لمن يطلبها، وسهلت سبل البحث العلمي، وبذلك يحقّ دعوة استثمار الشبكة في ربط المعلّم بالمتعلّم، والحلّ ولو نسبيا من مشكلات التّعليم الرّاهنة خاصة في البلدان العربيّة.

وإذا ما تتبعنا بعد كلّ هذا، خصائص الحوار التّواصلي على الشّبكة، لمحنا ثلاث خصائص جوهرية بغض النّظر عن خصائص أخرى كثيرة لم نذكرها؛ كالفورية والسّرعة التّواصلية مقارنة بوسائل إعلامية أخرى، وكذلك توارد وحضور التّمثيل والتّفاعل المصوّر بالصور المشقّرة بالألغاز والرسائل والقيم، كلّ ذلك تلتحم مع الخصائص السّالفة الذّكر لتصنع حوارا متنامي المقاصد والأطراف.

كما أنّ من مظاهر هذه الانفتاحية إمكانية توسّع خريطة الحوار وشبكته من المحلية الوطنية أم المدنية إلى العالمية والقومية ومع إمكانية تصنيفه وتنظيمه في شكل مجموعات وشبكات تواصلية تتمتع بنفس الخصائص العمريّة أو المذهبية، وهذا ما لاحظناه من خلال المحاولة الميدانية من خلال الملاحظات يساهمون

بعضوية في مجموعات وطنية وقومية، تناقش مواضيع سياسية ودينية واجتماعية وغيرها، وهذا ما يدل على مبدأ انفتاح الحوار. لعلّ المظهر الأخير من مظاهر الانفتاحية هو تمازج الواقعية والافتراضية في الشبكة

وتختلف مواضيع ومضامين الحوار التّواصلي على الشّبكات طبعا باختلاف مناحي الحياة، وتظهر هذه التّوجهات من خلال المنشورات والتعليقات، ومن خلال تطبيقات المجموعات التي لم يخلّ ميدان من ميادين الحياة اليومية من تخصيص صفحات ومجموعات على شبكة الفيس بوك، نختصر من مواضيعه الحوار السياسي في محاولة المتواصلين الوصول إلى تحليلات دقيقة للوقائع السياسية لمجتمعاتهم وفي العالم كذلك، وكذا خدمة تنوّع الأحزاب ومختلف مشاربها وتوجهاتها، حيث أصبحت شبكات التّواصل عامّة، والفيس بوك خاصّة، منبرا للحوار السياسي، ودعوة للمشاركة في الأحزاب، والتّعريف بصفحات ومواقع الشّخصيات الأكثر نفوذا في العمل السياسي. كما نلاحظ الحوار الديني من خلال التّوجهات والمذاهب العقدية والفقهية التي تميّز العالم الإسلامي بصفة عامّة؛ فاختلاف المذاهب العقدية والفقهية، تشكّل موضوع الحوار والنقاش والجدال الحادّ أحيانا في لغة التّواصل، وهكذا تكون لغة الشّبكة كاشفا لهذه الاختلافات.

وتشترك الثّقافة والمظهر الاجتماعي، ولا يكادان يختلفان إلا في جزئيات بسيطة مع الحوار السياسي الديني، وإذا كانت المشاهد والوقائع السياسية والدينية تتشابه بين أغلب البلدان العربية، فإنّ الوقائع الاجتماعية الثّقافية - وإن تقاربت - فهي تختلف من مجتمع لآخر، بل من مدينة أو حي لآخر، لذلك كانت الشّبكة وسيلة للتّعريف بالمناطق والثّقافات، وهذا ما نلاحظه من تخصيص المدن والقبائل، بل العائلات والعروش بمجموعات خاصّة لعرض ما يميّزون به، وهذا شيء إيجابي يحسب لشبكة الفيس بوك وللغتها، بكونها فسحة تجتمع فيها مشارب وأصول الثّقافة، فيعرّف الابن على ما كان عليه الأب والجد، ويتعرّف البعيد عن قرب ما يميز أقرانه من باقي الولايات والمقاطعات من ثقافة وفكر.

والخلاصة أنّ شبكة الفيس بوك ترتكز أساسا على نظام المجموعات، وتتأسّس من مشاركة الأفراد في إنشاء التّفاعل والانتماء؛ حيث تُقسّم المجموعات باعتبارات جغرافية ووطنية ومحليّة، أو باعتبارات خاصّة، كالّتعليم والإدارة والمهن المختلفة. وتحقّق هذه المجموعات مستوى من النّفعية، فتجسّد مبدأ التّعاون والتّواصل والتّماسك الاجتماعي مثل مجموعات: الصّداقة والمحبة، الحب في الله، التّواصل والترفيه، هواة التّسليّة، وغيرها من النماذج الكثيرة.

3- التّعدّد اللّغوي في لغة الشّبكة المكتوبة:

من سنن الله في الخلق، أنّ اللّغات تتعدّد بتعدّد الأمم والمجتمعات، فلكلّ مجتمع رموز في أذهان أفرادها، تؤمن لهم فعل التّواصل، وتضمن لهم رابط التّضامن والوحدة، غير أنّها لا يمكنها أن تعزلهم وتقيمهم مواجهة لغات أخرى يلاقونها اكتسابا أو يتعلمونها رغبة واختيارا؛ مرد ذلك الحاجة إلى التّنقل والتّرحال والترجمة

والرؤابط العالمية الواسعة. ولعلّ العلمية والتّرجمية منها أكثر مدعاة لهذا التعدّد مع العوامل التاريخية والاستعمارية من مخلفات الحروب والتقاء الأجناس.

فالتعدّد اللغوي ظاهرة لسانيّة اجتماعيّة، تتّسم بالشّمول والتّعقيد، « فالناس إذا في مواجهة اللّغات أيّنا كانوا، وأيّما كانت اللّغة الأولى التي سمعوها أو تعلّموها، فإنّهم يلاقون لغات أخرى في كل يوم يفهمونها أو لا يفهمون، ويتعرّفون عليها أو لا يتعرّفون، ويحبّونها أو لا يحبّون، وتحكمهم أو يحكمونها؛ فالعالم متعدّد اللّغات تلك حقيقة واقعة... وليس التعدّد مقصورا على مناطق، ولا هو من سمات العالم الثالث، ولكن التعددية قدر مشترك»²³.

ويصدق إطلاق مصطلح التعدّد على الوضعيّة اللسانية للمجتمعات التي تعيش فيها لغات متباينة، إمّا على سبيل التّساوي بينها في الاستخدام، وإمّا على سبيل التفاضل في المنزلة الرّسمية والشّعبيّة²⁴. والتعدّد اللغوي في المجتمعات، لا يمكن اعتباره سلبيات بلا إيجابيات، ولا إشكاليات بلا مزايا؛ فهو « لا يعني التشرذم والصراع، بل يعني الاستفادة من معطيات الخصوصيات الثقافيّة واللغوية والحضارية الموروثة محليًا وإقليميًا، وكذا معطيات الحضارة العالميّة الجديدة، والتّفتح على ثقافتها، بتعلّم كل ما أمكن تعلّمه من لغات»²⁵.

ومن المعلوم أنّ التّواصل الشّبكي هو شكل من أشكال الاستخدام اللغوي، وقد عرفنا أنفا أنّ للتّواصل سبلا أشهرها اللفظ والخطّ والإشارة، وإذا ما نظرنا في واقع اللغة على الشّبكية، نجد هذا تعدّدًا في الأنماط المستخدمة وتنافسًا بينها، وهنا نصل إلى خاصيّة أخرى من خصائص حوار الشّبكات، وهي التنوع اللغوي، وتأرجحه بين الصوت والكتابة والإشارة التي محلّها الصورة السيميائية، وكذا التعدد اللغوي من حيث وجود اللّغة الوطنيّة واللّغات الأجنبيّة واللّهجات المحليّة.

بناء على الوصف اللساني والملاحظة في النمط التّواصلي، يتبيّن لنا التعدّد اللغوي جليًا في واقع لغة الفيس بوك، وله تأثيره طبعًا على الحوار من حيث مكانة اللّغات الأجنبيّة في المواضيع المحليّة والعكس بالنسبة للّهجات المحليّة، ومن حيث التّنوع الثقافي؛ لأنّ اللّغة بطبعها وتركيبها هي وسيلة ثقافية بامتياز، وهي الجسر الرّابط بين مختلف أنماط الحياة لدى الشّعوب والأمم.

وبإسقاط ملاحظة التعدّد على تصنيف اللّغات، نجد اللّغة العربيّة في تواصل وحوارات أبنائها تُكتب على نمطين بخطّ عربي وخطّ لاتيني، وكذلك الفرنسيّة بدرجة ثانية، ثمّ اللّغة الإنجليزيّة مع ندرة استخدامها في التّعليقات والمنشورات مقارنة بالفرنسيّة في الواقع الجزائري، رغم أنّها تحظى بالمكانة العلميّة، وملخص الأنماط الغالبة في عربية الفيس بوك في الواقع الجزائري هي كالآتي:

- ✓ اللغة العربيّة الفصيحة.
- ✓ اللغة الفرنسيّة والإنجليزيّة.
- ✓ المازيغيّة والشّاوية.

- ✓ النمط العربي الدارج مكتوب بالخط العربي.
- ✓ النمط العربي الدارج مكتوب بالخط اللاتيني.
- ✓ بعض اللغات الأجنبية الأخرى.

فوجود هذا التماثل بين الأنماط اللغوية المكتوبة والمنطوقة، يؤدي بالقول أن الحوار الشبكي على شبكة الفيس بوك، هو صورة لواقع لغوي متعدد في الجانب الشفوي في مجالات وسياقات أخرى، بل ربما الواقع المكتوب أشد تعقيدا؛ نظرا للاحتكاكات بين اللغات والثقافات في الشبكة التي صنعت مع باقي الشبكات من العالم قرية صغيرة كما يقال؛ فإذا كان من لا يتقن لغة قوم لا يستطيع التواصل معهم، فإنه في هذا الفضاء يستطيع على الأقل قراءة ما يكتبون من لغات، وما يبثون من ثقافات بالاطلاع على منشوراتهم وصفحاتهم.

وبطبيعة الحال، إن هذا التعدد اللغوي، ينتج عنه التبادل الفكري والثقافي بين الشعوب؛ إذ اللغة هي الرابطة المتينة والناقلة لجميع الأفكار والمعتقدات، ولأن التعدد اللغوي يختلف حسب ثقافة الفرد ووظيفته وانتماءاته الاجتماعية²⁶؛ أي أن أمر التنوع في الاستخدام اللغوي لا تحكمه قوانين داخلية في اللغة فحسب، وإنما وجود عوامل أخرى: كالتخصص العلمي، والتنوع الثقافي والاجتماعي، بالإضافة للعوامل التاريخية.

الخاتمة

توضّح القراءة السابقة أنّ الشبكة أصبحت جزءا مهماً من حياة الناس، فلا يوجد شيء نُجمع على ممارسته بهذا الشكل اليومي خارج عاداتنا يماثل ما نتصفح داخل الشبكات، وما نطالعه ونكتبه ونشاهده فيها. وكلّ هذا حتما، له بالغ الأثر والتأثير في السلوك الاجتماعي والتفسي للفرد. وبما أنّ شبكة الفيس بوك، يغلب عليها الطابع الخطّي، فإنّ لغتها التواصلية المكتوبة هي المرآة العاكسة لهذه الحوارية والمثاقفة والترابط الاجتماعي؛ بل العالمي منه، لذلك يمكن الإقرار بمدى تفاعلها واقترابها من واقع الأفراد والشعوب والأمم.

وإذا كان تحقيق التواصل وتعزيز المثاقفة الاجتماعية عبر شبكة الفيس بوك، هو الهدف الأساس الذي تتيحه تطبيقاتها، فإنّ اللغة المكتوبة تضمن دون عوائق هذا الهدف من خلال ما تتمتع به من خصائص الانفتاح والتعدّد في أنماطها بين الفصاحة الرسمية واللّهجات المحليّة، واللغات الأجنبية؛ فهي تتعدّد في لغاتها، وتتيح الحوار وتعزّزه، وتضمن ثبوتية السياق زمانا ومكانا، وكذلك تجمع بين الواقعية والافتراضية، وكذلك تتيح إمكانية الامتزاج والانصهار في التواصل الشفوي عبر الشبكة؛ فتنوبه أحيانا، وتحجبه أحيانا أخرى؛ لما تملكه من قدرة التستّر وإخفاء الملامح.

وخلاصة ما يمكن صياغته من نتائج وملاحظات من خلال هذه القراءة الوصفية والتحليلية في لغة الفيس بوك المكتوبة ما يأتي بيانه:

- ✓ اللّغة المكتوبة عبر تطبيقات الفيس بوك، تظهر وتؤدي بجلاء وظائف اللّغة الشّفوية من غرض التّواصل، وتبليغ الغايات والمقاصد.
- ✓ لغة المكتوبة عبر شبكة الفيس بوك، إمكانيات تأثيرية وفاعلة في التّوجيه والدّعاية التّربية والإعلام.
- ✓ تفصح لغة الفيس بوك المكتوبة عن التّعدّد اللّغوي الذي يميّز أغلب شعوب العالم والعالم العربي خاصّة من خلال عربية الفيس بوك وما ينافسها من لغات ولهجات.
- ✓ يمكن للغة الفيس بوك المكتوبة أن تحقق مآرب علمية وثقافية وأن تعزّز الحوار السّياسي والدّيني والاجتماعي.
- ✓ امتزاج الكتابة مع المشافهة في مشهد التّواصل عبر الفيس بوك، يؤهل اللّغة المكتوبة عبر الشّبكة للوصف اللّساني الاجتماعي لما يمكن أن تقدّمه من تفسير لعلاقة اللّغات بالمجتمعات والشّعوب.

هوامش وإحالات المقال

- 1- ينظر: أبو عثمان عمرو الجاحظ، البيان والتّبيين، تج: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ط6، ج1، ص76.
- 2- والتر أونج، الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، منشورات عصر المعرفة، الكويت، 1994، ص137.
- 3- ينظر: محمد بن عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، ص78.
- 4- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللّغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2006، ص10.
- 5- ليسلي ميلروي، اللغة والشّبكات الاجتماعية، ترجمة سلوى عزيز الوزاني، منشورات جمعية تطوان أسمر، المغرب، ط1، 2015، ص3.
- 6- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق أمين عبد الوهاب والصادق العبيدي، دار إحياء التّراث، بيروت، ط1، 1999، مادة وصل.
- 7- الشّريف بوشحدان وآخرون، مفاهيم التّعليمية بين التّراث والدراسات اللّسانية الحديثة، منشورات مخبر اللّسانيات واللّغة العربيّة، جامعة عنابة، 2009، ص54.
- 8- خليفة الميساوي، مصطلح الفعل ونظرية التّواصل، مجلة اللّسانيات واللّغة العربيّة، جامعة عنابة، ع06، 2009، ص120.
- 9- محمد عابد الجابري، التّواصل نظريات وتطبيقات، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2010، ص64.
- 10- إنتصار إبراهيم عبد الرزاق وصفد حسام الساموك، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، بغداد، ط1، 2011، ص24.
- 11- ينظر: محمد المنصور، تأثير شبكات التّواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية، رسالة ماجستير تخصصّ الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربيّة، الدانمارك، 2011، ص25.
- 12- ينظر: المرجع نفسه، ص25.
- 13- وائل مبارك خضير فضل الله، أثر الفيس بوك على المجتمع، مدونة شمس التّهضة للطبع والنشر، ط1، 2010، ص14.
- 14- سليمان الشّريف، تاريخ الفيس بوك، متاح في: <http://sherif-suliman.own.com>
- 15- ينظر: ديفيد كريستال، اللغة وشبكة المعلومات العالمية، تر: أحمد شفيق الخطيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص17.
- 16- المرجع نفسه، ص8.
- 17- محمد لعقاب، مهارات الكتابة للإعلام الجديد، دار هومة، الجزائر، 2013، ط1، ص14.
- 18- ديفيد كريستال، اللغة وشبكة المعلومات العالمية، ص44.
- 19- لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسياسات اللّغوية، ترجمة حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1، ص2008.
- 20- بيار أشار، سوسيوولوجيا اللغة، ترجمة عبد الوهاب تزو، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1996، ص41.

- 21- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حور.
- 22- ينظر: عبد الكريم بكار، المتحدث الجيد: مفاهيم وآليات، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 2010، ص56.
- 23 - لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسياسات اللّغوية، ص78.
- 24 - ينظر: محمد الأوزاعي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص 11.
- 25 - عبد العلي الودغيري، دور اللّغة الوطنية في التّمنية وتحقيق الأمن الثّقافي، أعمال ملتقى التّخطيط اللّغوي في الجزائر اللّغات ووظائفها، ص55.
- 26- ينظر: لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللّغوي، ص23.

المراجع:

المصادر

1. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق أمين عبد الوهاب والصادق العبيدي، دار إحياء التّراث، بيروت، ط1، 1999.
2. أبو عثمان عمرو الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ط6، ج1.
3. محمد بن عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، 2007.

المراجع:

1. إنتصار إبراهيم عبد الرزاق وصفد حسام الساموك، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، بغداد، ط1، 2011.
2. بيار أشار، سوسيلوجيا اللّغة، ترجمة عبد الوهاب تزو، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1996.
3. خليفة الميساوي، مصطلح الفعل ونظرية التّواصل، مجلة اللّسانيات واللّغة العربيّة، جامعة عنابة، ع06، 2009.
4. ديفيد كرسنال، اللّغة وشبكة المعلومات العالمية، تر: أحمد شفيق الخطيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.
5. سليمان الشّريف، تاريخ الفيس بوك، متاح في: <http://sherif-suliman.own.com>
6. الشّريف بوشحدان وآخرون، مفاهيم التّعليمية بين التّراث والدراسات اللّسانية الحديثة، منشورات مخبر اللّسانيات واللّغة العربيّة، جامعة عنابة، 2009.
7. عبد العلي الودغيري، دور اللّغة الوطنية في التّمنية وتحقيق الأمن الثّقافي، أعمال ملتقى التّخطيط اللّغوي في الجزائر اللّغات ووظائفها، 2011.
8. عبد الكريم بكار، المتحدث الجيد: مفاهيم وآليات، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 2010.
9. لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسياسات اللّغوية، ترجمة حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1.
10. لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللّغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.
11. ليسلي ميلروي، اللّغة والشّبكات الاجتماعية، ترجمة سلوى عزيز الوزاني، منشورات جمعية تطوان أسمير، المغرب، ط1، 2015.
12. محمد الأوزاعي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
13. محمد المنصور، تأثير شبكات التّواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين، دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية، رسالة ماجستير تخصص الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربيّة، الدانمارك، 2011.
14. محمد عابد الجابري، التّواصل نظريات وتطبيقات، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2010.
15. محمد لعقاب، مهارات الكتابة للإعلام الجديد، دار هومة، الجزائر، 2013، ط1.
16. وائل مبارك خضر فضل الله، أثر الفيس بوك على المجتمع، مدونة شمس التّهبّة للطبع والنشر، ط1، 2010.
17. والتر أونج، الشّفاهية والكتابتية، ترجمة حسن البنا عز الدين، منشورات عصر المعرفة، الكويت، 1994.